المقدمـــــــة

شغلت فكرة الجوهر اهتمام العديد من المفكرين والفلاسفة علـــى مـــر عصور الفكر منذ القديم وحتى عصرنا الحديث . ونظراً لهذه الأهمية الكبـيرة لفكرة الجوهر وقع اختيارنا على موضوع هذا البحث .

وقد اختلف مفهوم فكرة الجوهر باختلاف العصور والفلاســفة . فعنـد فلاسفة ما قبل سقراط ـــ وهم ما يطلق عليهم اسم " الفلاســفة الطبيعييـن " نجدهم قد ربطوا بين الله والطبيعة ، فقد تصوروا أن الطبيعة هـــى الله ، والله هو الطبيعة ، وهو ما يعرف باسم " مذهب وحدة الوجود " ، فالله أو الطبيعـــة هو الكل وهو الجوهر ، ولهذا نجدهم قد بحثوا عن هذا الجوهر ومثلـــوه فـــي أمور طبيعية . فمثلاً " طاليس " قد اعتبر أن هذا الجوهر هو المـــاء واعتـبره الجوهر الأول الذي تصدر عنه جميع الأشياء . أما " انكسيماندريس" فقـد رأى أن الماء لا يصلح أن يكون جوهراً للأشياء ، وإنما المـــادة الأولـــى وجوهـــر الأشياء هو الأبيرون اللامتناهى . أما " أنكسيمانس" وهو ثالث فلاسفة مالطية ، فإن الجوهر الأول عنده واحد لا نهائى محدد الكيف ، أنه الهواء ومنه نشـــأت جميع الأشياء الموجودة ، نظراً لما للهواء من أهمية لا غنى عنها لكل كـــائن حي ، كما أنه يحوى العالم كله .

أما الفيثاغورية فقد اختلفت في تفكيرها عن الجوهـــر عـــن الفلاســفة السابقين ، ولهذا يمكن أن تعد أول محاولة للارتفاع عن المـــادة التـــي وقـــف عندها فلاسفة أيونيا ، وحاولت فهم العالم بقوانين واضحة نظـــراً لاهتمامـــها بالرياضة والموسيقى ، ولهذا فقد آمنت بأن الإعداد هي جواهر الأشياء نظـــراً لوجود نظام وانسجام بين الأشياء يرجع في الأصل إلى وجود الأعـــداد التـــي تنظم العلاقات أو النسب بين الأشياء وتحقق الانسجام بينهم .

ثم جاء بارمنيدس ورفض النظريات البسيطة السابقة عليه عن الجوهر الأول ، ورأى أن هذا الجوهر الأول لابد أن يكون إلهاً وتكون مهمته هى حفظ النظام العام للعالم الذي يمثل جوهره الصفة الأساسية والإيجابية الوحيدة وهي صفة الوجود ، حيث ميز بارمنيدس بين الوجود واللاوجود ، ورأى أن الشيء الوحيد الذي يمكن التفكير فيه هو الوجود ، أما اللاوجود فلا يمكن التفكير فيه لأنه غير موجود .

وهذا الوجود أو الجوهر الأول للأشياء غير محسوس ، ويمكن الوصول إليه بالعقل فقط ، وبهذا تنشأ لأول مرة التفرقة بين الحس والعقل ، ويبرز دور العقل وأهميته في المعرفة .

والجوهر الأول أو أصل الأشياء عند انكساجوراس هو البذور الصغيرة التى عنها تظهر الموجودات أو تختفى بالامتزاج والانفصال ، وهذه البذور تجتمع فى كل جسم بمقادير مختلفة وتتحدد تبعاً لهذا الاختلاف نوع كل جسم ، ومن هنا ينشأ الاختلاف بين الأشياء .

وهذه البذور الصغيرة عند انكساجوراس والتى يتكون منها العالم ، لا يدركها الحس إلا إذا تراكمت على بعضها البعض، وهى تحتوى على جميع الصفات المعروفة ـــ كالحار والبارد ، والجاف والرطب ، والحلو والمر وغيرها ـــ وهي أيضاً متشابهة حيث أن كلاً منها تحتوى على نسبة من الصفات تختلف عن نسبة هذه الصفات نفسها في بذرة أخرى ، ففى كل شيء جزء من كل شئ آخر .

ثم جاء " أنبادوقليس" الذى اعتبر أن الضدين ـــ الحار والبارد ـــ جوهرين للكون ، وإن كان يتحدث عن جواهر أو عناصر أربعة هى : النار والهواء والماء والتراب ، إلا أنه يعتبرهما جوهرين فقط هما الحار والبارد. فالحار يشمل النار والبارد يشمل الهواء والماء والتراب ، وقد أطلق على هذه

العناصر اسم الجذور أو العناصر، وهى الماء والهواء والنار والتراب . وهـذه المبادئ الأربعة على السواء لا يخرج بعضها عن بعض ، ولا يقود بعضـــها البعض، وتتكون الأشياء بانضمام هذه العناصر وانفصالها بمقـــادير مختلفـــة، وتجتمع هذه العناصر وتفترق بفعل قوتين كبيرتين هما المحبة والكراهية .

وبعد أنبادوقليس يأتى " الذريون" ـــــ لوقيبوس وديموقريطـــس ـــــ اللذين قالا بالذرات لا متناهية العدد والتى تتحرك فى الفراغ ـــــ أو الخـــلاء اللانهائى ـــــ فتسبب بوقوعها على بعضها البعض ظهور الأشياء ، وتســـبب بانفصالها عن بعضها البعض فسادها ، فالذرات دائماً فـــى حركـــة مســـتمرة بالرغم من اختلاف شكل الذرات وتشابكها وامتزاجها مع بعضـــها البعـــض . وهذه الذرات تختلف فى صفة الشكل ومرتبة الوجود وكذلك من ناحية المقـدار والثقل .

أما " هيراقليطس " فقد لاحظ أن كل شىء يتغير باستمرار ولكن بحسب قانون ثابت لا يتغير ـــــ هو اللوغوس ـــــ وهذا اللوغوس هو جوهر الأشياء ويتمثل فى النار الإلهية التى اعتبرها المبـــدأ الأول أو الجوهـــر الأول الـــذى تصدر عنه الأشياء فى العالم.

هذا عن فلاسفة ما قبل سقراط ، أما " سقراط " فقد اختلف عن هـــؤلاء الفلاسفة الطبيعيين السابقين عليه ، فلم يتخذ الطبيعة جوهراً للأشياء لأنه اعتقـد أن عالم الطبيعة من صنع الآلهة وحدها ، لهذا اعتبر أن الجوهر الأول هو إلـه هذا الكون ، وهذا الإله هو زيوس الذى وضعه اليونانيون فوق مرتبـــة ســـائر الآلهة الأخرى فاعتبر أن بقية الآلهة هم أدوات يستعين بها في صنع الوجود.

ثم جاء "أفلاطون" ـــــ وكان تلميذاً لسقراط ـــــ واعتبر أن الجواهـــر هي كليات متعينة ، هى مثل عقلية موجودة بالفعل فى عالم المثل ، وهذه المثل أو الجواهر بمثابة الآلهة عند أفلاطون ، وهذه الجواهر ثابتـــة غـــير متغـــيرة

وقديمة أزلية وأبدية ، وفوق هذه الآلهة يوجد الإله الأعلى أو الصانع الذى يخلق الأشياء بتأمله للصور العليا العديدة .

ويرتبط بنظرية المثل عند أفلاطون نظرية النفس ، لما لها من صلة قوية بنظرية المثل ، حيث اعتبر أن النفس هى نقطة اتصال بين عالمين هما عالم المثل وعالم الجسد أو الحس الذى تحاول الخلاص منه ، باعتبار أنها جوهر روحى فى حقيقة الأمر ، لهذا فهى تسعى للتحرر من سجن البدن حتى تعود إلى عالمها الأول.

وقد اختلف " أرسطو" عن أفلاطون فى هذا الشأن ، حقاً إن العلم عند أرسطو ينطبق على التصورات ـــ فالعلم معرفة يقينية بما هو عام وكلى ـــ غير أن أرسطو يتجه اتجاهاً مبايناً لاتجاه أفلاطون ، فنحن نصل إلى الكلى عن طريق الجزئى ، والعام فى نظر أرسطو لا وجود له إلا عن طريق الخاص . وبهذا يكون أرسطو قد أنزل جوهر أفلاطون ، وهو المثال الأفلاطونى ،من السماء إلى الأرض ، وهبط به من عالم المثل ووضعه في الأشياء الجزئية ، فالمثال الأفلاطونى هو فى نظر أرسطو المعنى الكلى الذى تشترك فيه عدة موضوعات جزئية . ولهذا اختلف مفهوم الجوهر عند أرسطو عنه عند أفلاطون ، فجوهر أرسطو هو في المحل الأول المركب من الهيولى والصورة معاً ـــ وهو الفرد المحسوس ـــ وإن الوجود الحقيقي يكون للصورة ، أما المادة فهى عند أرسطو تكون بمثابة الأساس الذى يصير شيئاً ما والذي يحدث عليه التغير ، أما الصورة فهى الصفات التى تحدث التغير فى المادة حين تدخل عليها. وحين تتلقى المادة صورتها ، فإن صورة الشىء تكون هي حقيقته .

كما يقول أرسطو بتعدد قوى النفس في الإنسان ، النباتية والحيوانية والعاقلة، وإن العقل أو النفس الناطقة يكون في مبدأ أمره قوة صرفة ،وإن

العقل الفعال هو الذى يخرج العقل بالقوة ليكون عقلا بالفعل . وقد أضفى أرسطو على هذا العقل الفعال نفس الصفات التى أضفاها على ما يمكن أن نطلق عليه تجاوزا اسم الله أو المحرك الأول عنده .

وقد وضع أرسطو الجوهر الإلهى على قمة الوجود الذى هو جوهرا محركا ثابتا فهو صورة خالصة وفعل محض ، وهذا المحرك الأول يحرك العالم دون أن يتحرك ، فالأشياء أو المادة تتحرك بأن تعشق هذا المعشوق الأول فتحدث فيها الحركة ، وبالتالى يحدث الكون وبقية أنواع الحركات ، وهذا المحرك الأول أو الله لا يمكن أن يكون متناهيا ، وهو أزلى ثابت يحرك العالم دون أن يتحرك .

وبهذا يكون أرسطو قد اختلف عن أفلاطون فى مفهوم الجوهر عند كلا منهما ، فقد اعتقد أفلاطون فى وجود عالم للمثل منفصل ومستقل عن عالم الحس ويضم فى داخله الموجودات الحقيقية ، وهذه الموجودات الحقيقية ليست هى الموجودات الجزئية وإنما هى الكليات المجردة ، فليس لعالم الإدراك الحسى عنده أى وجود حقيقى ـــ بعكس الحال عند أرسطو ـــ الذى رأى أن عالم الإدراك الحسى هو العالم الحقيقى ، بينما تمثلت فكرة الجوهر عند أرسطو فى المحرك الأول أو ما يمكن أن يسمى مجازا الله .

أما " الرواقية "، فإن الجوهر الأول عندهم هو العقل المطلق أو الله ، وهو ماديا ـــ كما تصوروه ـــ مبثوثا خلال العالم كله محركا كل جزء من أجزائه ، واعتناقهم لنظرية وحدة الوجود التى تجعل الله والعالم شيئا واحدا .

والرواقيون بهذا يخالفون أرسطو فى النظرية أو المذهب الخاص بالله . فالله فى فلسفة أرسطو مبدأ مفارق للمادة خارج عن الطبيعة كلها ، خالى من الحركة لا شأن له بالعالم إلا من جهة أن العالم يشتاق إليه . أما الرواقيون فيرون أن الله علة الأشياء ، وله مادة قد اتصل بها اتصالا وثيقا ، وهذه المادة

هى العالم ، والله روح العالم . والله كامن فى الإنسان وهو الموجود الأزلـــى، الباقى ، العاقل ، السعيد ، الكامل ، المبرأ من كل نقص ، خالق العالم ومبـــدع الأشياء وصانعها . وهذا الموقف عند الرواقية يختلف عن وصف أرسطو فـــى وصفه للإله الأعلى بأنه فكر خالص ولا يفكر إلا فى ذاته .

أما " الأبيقورية " فإن الآلهة عندهم تعيش لنفسها وحسب فـــــى مجـــال خارج الكون ، وتتمثل فكرة الجوهر عندهم فى الذرات ، ولا تختلف الذرة عن الأخرى إلا فى الشكل والمقدار والثقل ، وعن طريق هذا الاختلاف وبتجمـــــع الذرات المختلفة بعضها مع بعض تتكون الأجسام ، وتتحرك هذه الذرات إلـــى أسفل باستمرار ، لأن كل ما له ثقل يسقط إلى أسفل .

وقد اتبعت الباحثة فى إعداد هذه الدراسة المنهج التـــــاريخى التحليلـــى المقارن نظراً لأنها سوف تقوم بتتبع فكرة الجوهر ، وتحليل مفهوم الجوهـــــر عند فلاسفة اليونان مع مقارنة هذه الفكرة بين هذا الفيلسوف وغيره .

ويضم هذا البحث مقدمة وخمسة فصول وخاتمة .

أما **المقدمة** فقد تناولت فيها الباحثة التعريف بـــــالبحث وأهميتـــه مـــع الإشارة لمحتوى الدراسة والمنهج التحليلى والتاريخى لمعنى فكرة الجوهر .

وأما **الفصل الأول** وعنوانه " مفهوم الجوهر عند الفلاسفة السابقين على سقراط " فقد تناولت فيه الباحثة مفهوم الجوهر عند الفلاسفة الطبيعيين الأوائـل والمتأخرين .

وأما **الفصل الثانى** وعنوانه : " مفهوم الذرات عند الفلاسفة الطبيعييـــن المتأخرين" فقد تناولت فيه الباحثة مفهوم الذرات كجوهر عند الفلاسفة السابقين على سقراط وهم : انبادوقليس ، والمدرسة الذرية عند كـــــلا مـــن لوقيبـــوس وديموقريطس ، وانكساجوراس .

والفصل الثالث بعنوان " مفهوم الجوهـــر عنـــد كـــلاً مـــن ســـقراط وأفلاطون"، وقد تعرضت فيه الباحثة لمعنى فكرة الجوهر عند كلاً من سـقراط وأفلاطون.

الفصل الرابع وعنوانه " مفهوم الجوهر عند أرسطو ".

والفصل الخامس بعنوان " مفهوم الجوهر عند كـــلاً فلاســـفة العصـــر الهلنيستى" .

وأما **الخاتمة** فقد دونت فيها الباحثة أهم النتائج التي انتهت إليـــها مـــن الدراسة.